

تعالى بأن يرفعه القواعد من البيت ويطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود.
وبأمر الله تعالى، أذن إبراهيم في الناس بالحج إلى البيت العتيق، فأتوه رجالاً وعلى كل
ضامر يأتين من كل فج عميق.

ومن ذلك الزمن الموغل في الماضي السحيق، رسخت مكانة مكة في تاريخنا الديني، ولكن
الوثنية عادت فتسللت إلى حرمة، مع أوثان وأصنام كانت في أول الأمر رموزاً للمخالق المعبود،
ثم فقدت رمزيتها وصارت معبودات.

قال «ابن إسحاق»، في السيرة النبوية:

«ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل - أهل مكة - أنه كان
لا يظعن من مكة ظاعن منهم، حين ضاقت عليهم، والتمسوا الفسح في البلاد، إلا حمل معه
حجرًا من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى
آل ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسبوا من الحجارة، حتى خلف الخلوف ونسوا
ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت
عليه الأمم قبلهم من الضلالات، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها، من
تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على المزدلفة وهدى البدن والإهلال بالحج
والعمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه».

وكانت عبادتهم مشوبة برواسب من قديم ما قبل الطوفان، كما يظهر ذلك في أسماء أصنام
لهم، بأسماء الأصنام التي اتخذها الكفار من قوم نوح آلهة لهم، وذكرها الله تعالى في سورة نوح:
﴿وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ أَهْلَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعًا، وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

فكان لهذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر صنمها «سواع» ولقبيلة كلب بن وبرة
القضاعي، صنمها «ود» واتخذت بطون من طيئ ومذبح صنمها «يغوث» واتخذت خيوان، بطن
من همدان «يعوق» وأما «نسر» فكان لذي الكلاع بأرض حمير^(١).

وظل لمكة مع ذلك، مركزها الديني لا تنازعها فيه بلدة أخرى. وبقيت متابة حج العرب في
الجاهلية الوثنية، على مر الحقب، وكأنما كان البيت العتيق فيها، ذكرى شاخصة من عهد إيمانها
القديم، يحمي بقية من الوعي كامنة في العمق الغائر من ضمير الجاهليين، عبدة الأوثان
والكواكب، قال تعالى:

(١) ابن إسحاق، السيرة الهشامية، مع الروض الأنف ١/١٠٧ والأصنام للكلبي ط دار الكتب المصرية.